



## نزار قباني

هذا الكتاب تم تحميله **مجاناً** من :

[Nizarqabbany.cjb.net](http://Nizarqabbany.cjb.net)

وبالمقابل نطلب عند نشره إعطاء ربط  
الموقع  
وليس ربط التحميل

راجين من الله أن تستمتعوا بقراءة هذه  
القصائد ....

تزار قبانی

کل عام  
وانت  
حبیبتی

## حب استثنائي .. لامرأة استثنائية

- ١ -

أكثر ما يعذبني في حبك ..  
أنني لا أستطيع أن أحبك أكثر ..  
وأكثر ما يضايقني في حواسي الخمس ..  
أنها بقيت خمساً .. لا أكثر ..  
إن امرأة استثنائية مثلك  
تحتاج إلى أحاسيس استثنائية ..  
وأشواق استثنائية ..  
ودموع استثنائية ..  
وديانة رابعة ..  
لها تعاليمها ، وطقوسها ، وحنثها ، ونارها  
إن امرأة استثنائية مثلك ..  
تحتاج إلى كتب تكتب لها وحدها ..  
وحزن خاص بها وحدها ..  
وموت بملايين الغرف ..  
تسكن فيه وحدها ..  
لكنني وا أسفاه ..  
لا أستطيع أن أعجن الثواني  
على شكل خواتم أضعها في أصابعك  
فالسنة محكومة بشهورها  
والشهور محكومة بأسابيعها  
والأسابيع محكومة بأيامها

وأيامي بتعاقب الليل والنهار  
في عينيك البنفسجيتين ..

-٢-

أكثر ما يعذبني في اللغة .. لأنها لا تكفيك  
وأكثر ما يضايقني في الكتابة أنها لا تكتبك ..  
أنت امرأة صعبة ..  
أنت امرأة لا تكتب ..  
كلماتي تلهث كالخيول على مرتفعاتك ..  
ومفرداتي لا تكفي لاجتياز مسافاتك الضوئية ..  
معك لا توجد مشكلة ...  
إن مشكلتي هي مع الأبجدية ..  
مع ثمان وعشرين حرفاً ، لا تكفيني لتغطية بوصة واحدة من  
مساحات أنوثتك ...  
ولا تكفيني لإقامة صلاة شكر واحدة لوجهك الجميل ..  
إن ما يحزنني في علاقتي معك ..  
أنك امرأة متعددة ..  
واللغة واحدة ..  
فماذا تقترحين أن أفعل ؟  
كي أتصالح مع لغتي ..  
وأزيل هذه الغربة ..  
بين الخزف ، وبين الأصابع  
بين سطوحك المصقولة ..  
وعربائي المدفونة في الثلج ..  
بين محيط خصرك ..  
وطموحك مراكبي ..

لاكتشاف كروية الأرض ..

-٣-

ربما كنت راضية عني ..  
لأنني جعلتك كالأميرات في كتب الأطفال  
ورسمتك كالملائكة على سقوف الكنائس ..  
ولكني لست راضياً عن نفسي ..  
فقد كان بإمكانني أن أرسمك بطريقة أفضل  
ولكن الوقت فاجأني  
وأنا معلق بين النحاس .. وبين الحليب ..  
بين النعاس .. وبين البحر ..  
بين أظافر الشهوة .. ولحم المرايا ..  
بين الخطوط المنحنية .. والخطوط المستقيمة  
ربما كنت قانعة ، مثل كل النساء ،  
بأية قصيدة حب تقال عنك ..  
أما أنا فغير قانع بقناعاتك ..  
فهناك مئات من الكلمات تطلب مقابلي ..  
ولا أقابلها ..  
وهناك مئات من القصائد ..  
تجلس ساعات في غرفة الانتظار ..  
فأعذر لها ...  
إنني لا أبحث عن قصيدة ما ..  
لامرأة ما ..  
ولكنني أبحث عن " قصيدتك " أنت ...

-٤-

انني عاتب على جسدي ..

لأنه لم يستطع ارتدائك بشكل أفضل ..  
وعاتب على مسامات جلدي ..  
لأنها لم تستطع ارتداءك بشكل أفضل ..  
وعاتب على فمي ...  
لأنه لم يلتقط حبات اللؤلؤ المتناثرة على امتداد شواطئك  
بشكل أفضل ..  
وعاتب على خيالي ..  
لأنه لم يتخيل كيف يمكن أن تتفجر البروق ، والقواس قزح ..  
من نهديك لم يحتفلا بعيد ميلادهما الثامن عشر ...  
بصورة رسمية ..  
ولكن .. ماذا ينفع العتب الآن ..  
بعد أن أصبحت علاقتنا كبرتقالة شاحبة ،  
سقطت في البحر ..  
لقد كان جسديك مليئاً باحتمالات المطر ..  
وكان ميزان الزلازل  
تحت سرتك المستديرة كقم طفل ..  
يتنبأ باهتزاز الأرض ..  
ويعطي علامات يوم القيامة ..  
ولكنني لم أكن ذكياً بما فيه الكفاية ..  
لألتقط إشاراتك ..  
ولم أكن مثقفاً بما فيه الكفاية ..  
لأقرأ أفكار الموج والزبد ..  
وأسمع إيقاع دورتك الدموية ..

-٥-

أكثر ما يعذبني في تاريخي معك ..

أنني عاملتك على طريقة بيدبا الفيلسوف ..  
ولم أعاملك على طريقة رامبو .. وزوربا ..  
وفان كوخ .. وديك الجن .. وسائر المجانين  
عاملتك كأستاذ جامعي ..  
يخاف أن يحب طالبتة الجميلة ..  
حتى لا يخسر شرفه الأكاديمي ..  
لهذا أشعر برغبة طاغية في الاعتذار إليك ..  
عن جميع أشعار التصوف التي أسمعك إياها ..  
يوم كنت تأتين إليّ ..  
مليئة كالسنبله ..  
وطازجة كالسمكة الخارجة من البحر ..

-٦-

أعتذر إليك ..  
بالنيابة عن ابن الفارض ، وجلال الدين الرومي ، ومحي  
الدين بن عربي ..  
عن كل التنظيرات .. والتهويمات .. والرموز .. والأقنعة  
التي كنت أصنعها على وجهي ، في غرفة الحب ..  
يوم كان المطلوب مني ..  
أن أكون قاطعاً كالشفرة  
وهجومياً كفهد إفريقي ..  
أشعر برغبة في الاعتذار إليك ..  
عن غيابي الذي لا مثيل له ..  
وجبني الذي لا مثيل له ..  
وعن كل الحكم المأثورة ..  
التي كنت أحفظها عن ظهر قلب ..

وتلوتها على نهديك الصغيرين ..  
فبكيا كطفلين معاقبين .. وناما دون عشاء ..

-٧-

أعترف لك يا سيدتي ..  
أنك كنت امرأة استثنائية  
وأن غيابي كان استثنائياً ..  
فاسمحي لي أن أتلو أمامك فعل الندامة  
عن كل مواقف الحكمة التي صدرت عني ..  
فقد تأكد لي ..  
بعدما خسرت السباق ..  
وخسرت نقودي ..  
وخيولي ..  
أن الحكمة هي أسوأ طبق نقدمه ..  
لامرأة نحبها ..



## في الحب البحري ...

-١-

مواقفي منك ، كموقف البحر ..  
وذاكرتي مائية كذاكرته ..  
لا هو يعرف أسماء مرافئه ..  
ولا أنا أتذكر أسماء زائراتي  
كل سمكة تدخل إلى مياهي الإقليمية ، تذوب ..  
كل امرأة تستحم بدمي ، تذوب ..  
كل نهد يسقط كالليرة الذهبية ..  
على رمال جسدي .. يذوب ..  
فلتكن لك حكمة السفن الفينيقية ..  
وواقعية المرافئ التي لا تتزوج أحدا ..

-٢-

كلما شم البحر رائحة جسمك الحلبي  
سهل كحصان أزرق  
وشاركته الصهيل  
هكذا خلقتني الله ..  
رجلاً على صورة بحر  
بحراً على صورة رجل  
فلا تناقضيني بمنطق زارعي العنب والحنطة ..  
ودكاترة الطب النفسي ..  
بل ناقشيني بمنطق البحر  
حيث الأزرق يلغي الأزرق  
والأشعة تلغي الأفق ..

والقبلة تلغي الشفه ..  
والقصيدة تلغي ورقة الكتابة ..

-٣-

إحساسي بك متناقض ، كإحساس البحر  
ففي النهار ، أغمرك بمياه حناني  
وأغطيك بالغيم الأبيض ، وأجنحة الحمام  
وفي الليل ...  
أجتاحك كقبيلة من البرابرة ...  
أستطيع ، أيتها المرأة ، أن أكون بحراً محايداً ..  
ولا تستطيعين أن تكوني سفينة من ورق ..  
لا أنت انديرا غاندي  
ولا أنا مقتنع بجدوى الحياد الإيجابي  
ففي الحب .. لا توجد مصالحات نهائية ..  
بين الطوفان ، ولبن المدن المفتوحة ..  
بين الصواعق ، ورؤوس الشجر  
بين الطعنة ، وبين الجرح  
بين أصابعي ، وبين شعرك  
بين قصائد الحب .. وسيوف قريش  
بين ليبرالية نهديك ..  
وتحالف أحزاب اليمين !!..

-٤-

أيتها الخارجة من خرائط العطش والغبار ..  
تخلصي من عاداتك البريه ..  
فالعواطف البرية تعبر عن نفسها ..  
بايقاع واحد .. ووتيرة واحدة ..

أما الحب في البحر .. فمختلف .. مختلف .. مختلف ..  
فهو غير خاضع لجاذبية الأرض ..  
وغير ملتزم بالفصول الزراعية ..  
وغير ملتزم بقواعد الحب العربي  
حيث أجساد الرجال تنفجر من التخمة ..  
ونهود النساء تتثائب من البطالة ..

-٥-

ادخلي بحري كسيف من النحاس المصقول  
ولا تقرأي نشرات الطقس  
ونبوءات مصلحة الأرصاد الجوية  
فهي لا تعرف شيئاً عن مزاج البحر  
ولا تعرف شيئاً عن مزاج سمك القرش  
ولا تعرف شيئاً عن مزاجي ..  
لا أريد أن أشتغل حارساً لجواهر التاج  
إن نهديك لا يدخلان في حدود مسؤولياتي  
فأنا لا أستطيع أن أضمن مستقبلهما ..  
كما لا يستطيع البرق أن يضمن مستقبل غابة ..

-٦-

لماذا تبحثين عن الثبات ؟  
حين يكون بوسعنا أن نحفظ بعلاقاتنا البحرية  
تلك التي تتراوح بين المد .. والجزر  
بين التراجع والاقترام  
بين الحنان الشامل ، والدمار الشامل ...  
لماذا تبحثين عن الثبات ؟  
فالسمة أرقى من الشجرة ..

والسنباب .. أهم من الغصن ..  
والسحابة .. أهم من نيويورك ..

-٧-

أريدك أن تتكلمي لغة البحر ..  
أريدك أن تلعبى معه ..  
وتتقلبي على الرمل معه ..  
وتمارسى الحب معه ..  
فالبحر هو سيد التعدد .. والإخصاب .. والتحويلات ..  
وأنوئتك هي امتداد طبيعى له ..  
نامى مع البحر .. يا سيدتى ..  
فليس من مصلحتك أن تكونى من فصيلة الشجر ..  
ولا من مصلحتى أن أحولك إلى جريدة مقروءة  
أو إلى ربطة عنق معلقة فى خزانتى  
منذ أن كنت طالباً فى الجامعة ..  
ليس من مصلحتك أن تتزوجينى ..  
ولا من مصلحتى أن أكون حاجباً على باب المحكمة الشرعية  
أتقاضى الرشوات من الداخلين  
وأتقاضى اللعنات من الخارجين ..

-٨-

أنا بحرك يا سيدتى ..  
فلا تسألينى عن تفاصيل الرحلة ..  
ووقت الإقلاع والوصول ..  
كل ما مطلوب منك ..  
أن تنسى غرائزك البرية ..  
وتطيعى قوانين البحر ..

وتخترقيني .. كسمكة مجنونة ..  
تسطر السفينة إلى نصفين ..  
والأفق إلى نصفين ..  
وحياتي إلى نصفين ..

## أقرأ جسدك .. وأنتقف

- ١ -

يوم توقف الحوار بين نهديك المغتسلين بالماء ..  
وبين القبائل المتقاتلة على الماء ..  
بدأت عصور الانحطاط ..  
أعلنت الغيوم الإضراب عن المطر  
لمدة خمسمئة سنة ..  
وأعلنت العصافير الإضراب عن الطيران  
وامتنعت السنابل عن إنجاب الأولاد  
وصار شكل القمر كشكل زجاجة النفط ..

- ٢ -

يوم طردوني من القبيلة ..  
لأنني تركت قصيدة على باب خيمتك ..  
وتركت لك معها ورده ..  
بدأت عصور الانحطاط ..  
إن عصور الانحطاط ليست الجهل بمبادئ النحو الصرف ..  
ولكنها الجهل بمبادئ الأنوثة ..  
وشطب أسماء جميع النساء من ذاكرة الوطن ..

- ٣ -

أه يا حبيبتني ..  
ما هو هذا الوطن الذي يتعامل مع الحب ..  
كشرطي سير ؟ ..  
فيعتبر الوردة مؤامرة على النظام ..  
ويعتبر هذا الوطن المرسوم على شكل جرادة صفراء ..

تزحف على بطنها من المحيط إلى الخليج ..  
من الخليج إلى المحيط ..  
والذي يتكلم في النهار كقديس ..  
ويدوخ في الليل على سرّة امرأة ..  
-٤-

ما هو هذا الوطن ؟  
الذي ألغى الحب من مناهجه المدرسية ..  
وألغى فن الشعر ..  
وعيون النساء ..  
ما هو هذا الوطن ؟  
الذي يمارس العدوان على كل غمامة ماطرة  
ويفتح لكل نهد ملفاً سرياً ..  
وينظم مع كل وردة محضر تحقيق !!  
-٥-

يا حبيبتي ..  
ماذا نفعل في هذا الوطن ؟  
الذي يخاف أن يرى جسده في المرأة ..  
حتى لا يشتهييه ..  
ويخاف أن يسمع صوت امرأة في التلفون ..  
حتى لا يُنقَضَ وضوءُهُ ..  
ماذا نفعل في هذا الوطن ؟  
الذي يعرف كل شيء عن ثورة أكتوبر ..  
وثورة الزنج ..  
وثورة القرامطة ..  
ويتصرف مع النساء كأنه شيخ طريقة ..

ماذا نفعل في هذا الوطن ؟  
بين مؤلفات الإمام الشافعي .. ومؤلفات لينين ..  
بين المادية الجدلية .. وصور ( البرونو ) ..  
بين كتب التفسير .. ومجلة ( البلاي بوي ) ..  
بين فرقة ( المعتزلة ) .. وفرقة ( البيتلز ) ...  
بين رابعة العدوية .. وبين ( ايمانويل ) ..

-٦-

أيتها المدهشة كالألعاب الأطفال  
انني أعتبر نفسي متحضراً ..  
لأنني أحبك ..  
وأعتبر قصائدي تاريخية .. لأنها عاصرتك ..  
كل زمن قبل عينيك هو احتمال ..  
كل زمن بعدهما هو شظايا ..  
فلا تسأليني لماذا أنا معك ..  
إنني أريد أن اخرج من تخلفي ..  
وأدخل في زمن الماء ..  
أريد أن أهرب من جمهورية العطش ..  
وأدخل جمهورية المانوليا ..  
أريد أن أخرج من بداوتي ..  
وأجلس تحت الشجر ..  
وأغتسل بماء الينابيع  
وأتعلم أسماء الأزهار ..  
أريد أن تعلميني القراءة والكتابة  
فالكثابة على جسدك أول المعرفة  
والدخول إليه دخول إلى الحضارة ..



إن جسدك ليس ضد الثقافة ..  
ولكنه الثقافة ..

ومن لا يقرأ دفاتر جسدك  
يبقى طول حياته .. أمياً ...

## كل عام وأنت حبيبتى

- ١ -

كلّ عامٍ وأنتِ حبيبتى ..  
أقولها لكِ،  
عندما تدقُّ السّاعةُ منتصفَ اللَّيلِ  
وتغرقُ السّنةُ الماضيّةُ في مياهِ أحزاني  
كسفينيّةٍ مصنوعةٍ من الورقِ ..  
أقولها لكِ على طريقي ..  
متجاوزاً كلَّ الطقوسِ الاحتفاليّةِ  
التي يمارسها العالمُ منذَ ١٩٧٥ سنة ..  
وكاسراً كلَّ تقاليدِ الفرحِ الكاذبِ  
التي يتمسكُ بها الناسُ منذَ ١٩٧٥ سنة ..  
ورافضاً ..  
كلَّ العباراتِ الكلاسيكيّةِ ..  
التي يردّها الرجالُ على مسامعِ النساءِ  
منذَ ١٩٧٥ سنة ..

- ٢ -

كلّ عامٍ وأنتِ حبيبتى ..  
أقولها لكِ بكلِّ بساطةٍ ..  
كما يقرأُ طفلٌ صلاته قبلَ النومِ  
وكما يقفُّ عصفورٌ على سنبلَةٍ قمحٍ ..  
فتزدادُ الأزاهيرُ المشغولةُ على ثوبكِ الأبيضِ ..  
زهرةً ..  
وتزدادُ المراكبُ المنتظرةُ في ميناءِ عينيكِ ..

مركباً ..  
أقولها لك بحرارةٍ ونزقٍ  
كما يضربُ الراقصُ الإسبانيُّ قدمهُ بالأرضِ  
فتتشكّلُ آلافُ الدوائرِ  
حولَ محيطِ الكرةِ الأرضيةِ

- ٣ -

كلّ عامٍ وأنتِ حبيبتي  
هذه هي الكلماتُ الأربعُ ..  
التي سألقُها بشريطٍ من القصبِ  
وأرسلُها إليك ليلةِ رأسِ السنةِ  
كلُّ البطاقاتِ التي يبيعونها في المكتباتِ  
لا تقولُ ما أريدهُ ..  
وكلُّ الرسومِ التي عليها ..  
من شموعٍ .. وأجراسٍ .. وأشجارٍ .. وكُراتِ ثلجٍ ..  
وأطفالٍ .. وملائكةٍ ..  
لا تُناسبني ..  
إنني لا أرتاحُ للبطاقاتِ الجاهزةِ ..  
ولا للقوائدِ الجاهزةِ ..  
ولا للتمنّياتِ التي يرسمُ التصديرُ  
فهي كلّها مطبوعةٌ في باريس، أو لندن، أو أمستردام ..  
ومكتوبةٌ بالفرنسيةِ أو الإنكليزيةِ ..  
لتصلحَ لكلِّ المناسباتِ  
وأنتِ لستِ امرأةَ المناسباتِ ..  
بل أنتِ المرأةُ التي أحبُّها ..  
أنتِ هذا الوجعُ اليوميُّ ..

الذي لا يقال ببطاقاتِ المعايدهُ ..  
ولا يقال بالحروفِ اللاتينيّةُ ..  
ولا يقال بالمراسلهُ ..  
وإنما يقالُ عندما تدقُّ السّاعهُ منتصفَ الليلِ ..  
وتدخلينَ كالسمكةِ إلى مياهي الدافئهُ ..  
وتستحمينَ هناكُ ..  
ويسافرونَ فمي في غاباتِ شِعركِ العجريّ  
ويستوطنُ هناكُ ..

-٤-

لأنني أحبُّكِ ..  
تدخلُ السنّهُ الجديدهُ علينا ..  
دخولَ الملوكِ ..  
ولأنني أحبُّكِ ..  
أحملُ تصرّيحاً خاصاً من الله ..  
بالتجوّلِ بينَ ملايينَ النجومِ ..

-٥-

لن نشترى هذا العيدِ شجرهً  
ستكونينَ أنتِ الشجرهُ  
وسأعلقُ عليكِ ..  
أمنيّاتي .. وصلواتي ..  
وقناديلَ دموعي ..

-٦-

كلّ عامٍ وأنتِ حبيبتي ..  
أمنيّةُ أخافُ أن أتمنّاها  
حتى لا أتهمّ بالطمعِ أو بالغرورِ

فكرةٌ أخافُ أن أفكرَ بها ..  
حتى لا يسرقها الناسُ مني ..  
ويزعموا أنهم أولُ من اخترعَ الشعرَ ..

-٧-

كلَّ عامٍ وأنتِ حبيبتي ..  
كلَّ عامٍ وأنا حبيبك ..  
أنا أعرفُ أنني أتمنى أكثرَ مما ينبغي ..  
وأحلمُ أكثرَ من الحدِّ المسموح به ..  
ولكن ..  
من له الحقُّ أن يحاسبني على أحلامي؟  
من يحاسبُ الفقراءَ ؟  
إذا حلموا أنهم جلسوا على العرشِ  
لمدّةٍ خمسٍ دقائق ؟  
من يحاسبُ الصحراءَ إذا توحّمتْ على جدول ماءٍ ؟  
هناك ثلاثُ حالاتٍ يصبحُ فيها الحلمُ شرعياً :  
حالةُ الجنونِ ..  
وحالةُ الشّعْرِ ..  
وحالةُ التعرّفِ على امرأةٍ مدهشةٍ مثلكِ ..  
وأنا أعاني - لحسن الحظِّ -  
من الحالاتِ الثلاثِ ..

-٨-

اتركي عشيرتكِ ..  
واتبعيني إلى مغائري الداخليّةِ  
اتركي قبعةَ الورقِ ..  
وموسيقى الجيركِ ..

والملابسَ التتكريَّةَ ..  
واجلسي معي تحتَ شجرِ البرقِّ ..  
وعبَاءةَ الشَّعرِ الزرقاءَ ..  
سأعطيكِ بمعطفي من مطرِ بيروتِ  
وسأسقيكِ نبيذاً أحمرَ ..  
من أقبيةِ الرُّهبانِ ..  
وسأصنعُ لكِ طبقاً إسبانياً ..  
من قواقعِ البحرِ ..  
اتبعيني - يا سيِّدتي - إلى شوارعِ الحلمِ الخلفيَّةِ ..  
فلسوفَ أطلعكِ على قصائدٍ لم أقرأها لأحدٍ ..  
وأفتحُ لكِ حقائبَ دموعي ..  
التي لم أفتحها لأحدٍ ..  
ولسوفَ أحبُّكِ ..  
كما لا أحبُّكِ أحدٌ ..

-٩-

عندما تدقُّ السَّاعةُ الثانيةُ عشرةً  
وتفقدُ الكرةُ الأرضيَّةُ توازنها  
ويبدأُ الراقصونَ يفكِّرونَ بأقدامهم ..  
سأنسحبُ إلى داخلِ نفسي ..  
وسأسحبكِ معي ..  
فأنتِ امرأةٌ لا ترتبطُ بالفرحِ العامِّ ..  
ولا بالزمنِ العامِّ ..  
ولا بهذا السِّيركِ الكبيرِ الذي يمرُّ أمامنا ..  
ولا بتلكَ الطبولِ الوثنيَّةِ التي تُقرعُ حولنا ..  
ولا بأقنعةِ الورقِ التي لا يبقى منها في آخرِ الليلِ

سوى رجالٍ من ورقٍ ..  
ونساءٍ من ورقٍ ..

- ١٠ -

آه .. يا سيّدي  
لو كان الأمرُ بيدي ..  
إذن لصنعتُ سنةً لكِ وحدكِ  
تفصلّينَ أيّامها كما تريدينُ  
وتسندينَ ظهركِ على أسابيعها كما تريدينُ  
وتتشمّسينُ ..  
وتستحمّينُ ..  
وتركضينَ على رمالِ شهورها ..  
كما تريدينُ ..

آه .. يا سيّدي ..  
لو كان الأمرُ بيدي ..  
لأقمتُ عاصمةً لكِ في ضاحيةِ الوقتِ  
لا تأخذُ بنظامِ السّاعاتِ الشمسيّةِ والرمليّةِ  
ولا يبدأ فيها الزمنُ الحقيقيُّ  
إلا ..

عندما تأخذُ يدكِ الصّغيرةُ قبولتّها ..  
داخلَ يدي ..

- ١١ -

كلّ عامٍ .. وأنا متورّطٌ بكِ ..  
وملاحقٌ بتهمةِ حبّكِ ..  
كما السّماءُ مُتّهمةٌ بالزُّرقةِ  
والعصافيرُ مُتّهمةٌ بالسّفَرِ

والشفة متهمة بالاستدارة ...  
كلّ عامٍ وأنا مضروبٌ بزلزالك ..  
ومبللٌ بأمطارك ..  
ومحفورٌ - كالإناء الصينيّ - بتضاريس جسمك  
كلّ عامٍ وأنتِ .. لا أدري ماذا أسميكِ ..  
اختاري أنتِ أسماءكِ ..  
كما تختارُ النقطةَ مكانها على السطرِ  
وكما يختارُ المشطُ مكانه في طيّاتِ الشّعْر ..  
وإلى أن تختاري إسمكِ الجديدُ  
إسمحي لي أن أناديكِ :  
" يا حبيبتي " ...



## إلى حبيبتى فى رأس السنة ...

-١-

أنقل حبى لك من عام إلى عام ..  
كما ينقل التلميذ فروضه المدرسية إلى دفتر جديد  
أنقل صوتك .. ورائحتك .. ورسائلك ..  
ورقم هاتفك .. وصندوق بريدك ..  
وأعلقها فى خزانة العام الجديد ..  
وأمنحك تذكرة إقامة فى قلبى ..

-٢-

إننى أحبك ..  
ولن أتركك وحدك على ورقة ٣١ ديسمبر أبداً  
سأحملك على ذراعى ..  
وأنتقل بك بين الفصول الأربعة ..  
ففى الشتاء سأضع على رأسك قبعة صوف حمراء ..  
كى لا تبردى ..  
وفى الخريف ، سأعطيك معطف المطر الوحيد الذى  
أملكه ..  
كى لا تتبللى ..  
وفى الربيع ..  
سأتركك تنامى على الحشائش الطازجة ..  
وتتناولين طعام الإفطار ..  
مع الجنادب والعصافير ..  
وفى الصيف ..  
سأشتري لك شبكة صيد صغيرة ..

لتصطادي المحار ..  
وطيور البحر ..  
والأسماك المجهولة العنواين

-٣-

إنني أحبك ..  
ولا أريد أن أربطك بذاكرة الأفعال الماضية ..  
ولا بذاكرة القطارات المسافرة ..  
فأنت القطار الأخير الذي يسافر ليلاً ونهاراً  
فوق شرايين يدي ..  
أنت قطاري الأخير ..  
وأنا محطتك الأخيرة ..

-٤-

إنني أحبك ..  
ولا أريد أن أربطك بالماء .. أو بالريح  
أو بالتاريخ الميلادي أو الهجري ..  
ولا بحركات المد والجزر ..  
أو ساعات الخسوف والكسوف  
لا يهمني ما تقوله المراصد ..  
وخطوط فناجين القهوة ..  
فعيناك وحدهما هما النبوءة  
وهما المسؤولتان عن فرح هذا العالم ..

-٥-

أحبك ..  
وأحب أن أربطك بزمني .. وبطقسي ..  
وأجعلك نجمة في مداري ..

أريد أن تأخذي شكل الكلمة ..  
ومساحة الورقه ..  
حتى إذا نشرت كتاباً .. وقرأه الناس ..  
عثروا عليك ، كالوردة في داخله ..  
وأما أنا ..  
فأجمل الشوارع والأرصفة المغسولة والمطر ..  
على ظهري .. وأبحث عنك ..  
أريد أن تأخذي شكل فمي ..  
حتى إذا تكلمت ..  
حسبك الناس تستحمين في صوتي ..  
أريدك أن تأخذين شكل يدي ..  
حتى إذا وصفتها على الطاولة ..  
وجدك الناس نائمة في جوفها ..  
كفراشة في يد طفل ..  
إنني لا أحترف طقوس التهنئة ..  
إنني أحترف العشق ..  
أحترفك ..  
يتجول هو فوق جلدي ..  
وتتجولين أنت تحت جلدي ..

-٦-

لماذا تتأمرين عليّ مع المطر ؟ ما دمت تعرفين ..  
أن كل تاريخي معك .. مقترن بسقوط المطر ..  
وأن الحساسية الوحيدة التي تصيبني ..  
عندما أشم رائحة نهديك ..  
هي حساسية المطر ..

لماذا تتأمرين علي ؟ .. ما دمت تعرفين ..  
أن الكتاب الوحيد الذي أقرؤه بعدك ..  
هو كتاب المطر ..

-٧-

إنني أحبك ..  
هذه هي المهنة الوحيدة التي أتقنها ..  
ويحسدني عليها أصدقائي وأعدائي ..  
قبلك .. كانت الشمس ، والجبال ، والغابات ..  
في حالة بطالة ..  
واللغة بحالة بطالة .. والعصافير بحالة بطالة ..  
فسكراً لأنك أدخلتني المدرسة ..  
وشكراً .. لأنك علمتني أبجدية العشق ..  
وشكراً .. لأنك قبلت أن تكوني حبيبتي ..

## هل تسمحين لي أن أصطاف ؟

-١-

أيتها المرأة التي تستوطن جهازني العصبي ..  
هل تسمحين لي أن أصطاف كما يصطاف الآخرون ؟  
وأتمتع بأيام الجبل ..  
كما يتمتع الآخرون ..  
الجبل مروحة حرير اسبانية  
وأنت مرسومة عليها ..  
وعصافير عينيك ..  
تأتي أفواجاً أفواجاً من جهة البحر ..  
كما تطير الكلمات من أوراق دفتر أزرق ..  
هل تسمحين لذاكرتي أن تكسر حصار رائحتك ؟  
وتشم رائحة الحبق ، والوزال ، والزعر البري  
هل تسمحين لي ..  
أن أجلس على الشرفة الصيفية دقيقة واحدة ؟  
دون أن يتسلق صوتك كعريشة زرقاء  
على درابزين بيتنا ..  
ودون أن أحبك في قهوتي الصباحية ؟

-٢-

لقد اشتغلت تسعة شهور ..  
عند نهديك المتغطرسين !! ..  
ولي الحق - ككل عمال العالم -  
أن أنال إجازتي السنوية ..  
كان أجري قليلاً ..

وحظي قليلاً ..  
وراحتاي مشقتين ..  
من كثرة الشغل في مناجم الذهب  
حتى في أول أيار ..  
ذهبت إلى عملي كبقية الأيام  
وحرصت نهديك النائمين ..  
كبقية الأيام ..  
حتى القروش القليلة التي ادخرتها  
اشتريت بها لهما ..  
فطائر اللوز والعسل ..  
ولكن نهديك ..  
- ككل أولاد العائلات الإقطاعية -  
إعتبرتني مملوكاً لهما ..  
من عهد أول ملك من ملوك الأسرة النهديّة ..  
وجلداني تسعين جلدة على ظهري ..  
وتسعين جلدة على صدري ..  
حتى أسقطت دعواي عنهما ..  
وعدن إلى العمل ....

- ٣ -

علقتك في خزانة ثيابي في بيروت ..  
وأخذت المفتاح معي ..  
خبأت وجهك تحت قمصاني ومناديلي ..  
وخرجت على أطراف أصابعي ..  
قبل أن تستيقظي ..

.....

..... واليوم .. وأنا أتمشى على طرقات الجبل ..  
رأيتك تتكئين على سنبله قمح ..  
وتتسابقين مع عصفور صباحي ..  
وتربطين شعرك بغمامة برتقالية ..  
ماذا تفعلين هنا ؟  
ومن أعطاك عنواني في الجبل ؟  
أيتها الواحدة التي اصطدمت بعشقي ..  
فصارت امرأة ..  
واصطدمت بطقس نهديها الاستوائيين ..  
فعرفت حجم رجولتي ..  
منحتك البركة والتكاثر ..  
وجعلتك كماء البحر .. واحدة .. ومتعددة ..  
ووضعت يدي على بياض فخذيك ..  
فأصبحت قبيله ..  
ماذا تفعلين هنا ؟  
حتى الغابة ..  
تذكرني كيف كنت تمشطين شعرك ..  
فأبكي ..  
حتى القمة ..  
تذكرني بارتفاع نهديك عن سطح البحر ..  
فأدوخ ..

-٤-

هل بوسع رجل يحبك مثلي ..  
أن يصطاف اصطيفاً طبيعياً ؟  
هل بوسعي أن أنفصل عن المجموعة الشمسية

التي تدور منذ ملايين السنين حول عينيك  
وأصطاف في إقليم آخر ..  
لا يخضع لسلطانك ؟  
هل يمكنني أن أمارس هذا الاختيار الصعب ؟  
فأجلس كالمجاذيب على كرسي هزاز ..  
أقرأ القصص البوليسية ...  
وأشرب المياه المعدنية ....  
وأمتحن ثقافتى بالكلمات المتقاطعة ..  
الاصطياف زمن مسطح ..  
وأن مرتبك بزمانك رغم كثرة نتوئاته ..  
والاصطياف فراغ .. وأنا ممتلىء بك ..  
والاصطياف تغيير ..  
وأنا لا أريد أن أغبرك ..  
بكنوز الدنيا ..  
قولي لي ..  
من هو الأبله الذي اخترع كلمة الاصطياف ؟  
فرماك كخاتم الذهب على رمال بيروت ..  
وفرض علي الإقامة الجبرية  
تحت شجرة النوم ..  
ربما كان لا يعرف أن الشجرة ..  
تبقى ألف سنة على رأس الجبل  
ولا تصبح امرأة ..  
في حين أنك في اللحظة التي  
تدخلين فيه إقليم صدري ..  
تصبحين شجرة ..



## تأخذين في حقائبك الوقت وتسافرين..

-١-

تجولت في شوارع وجهك ..  
أيتها المرأة التي كانت في سالف الزمان حبيبتي  
سألت عن فندقتي القديم ..  
وعن الكشك الذي كنت أشتري نته جرائدي  
وأوراق اليانصيب التي لا تريح ..  
لم أجد الفندق .. ولا الكشك ..  
وعلمت أن الجرائد ..  
توقفت عن الصدور بعد رحيلك ..  
كان واضحاً أن المدينة قد انتقلت ..  
والأرصفة قد انتقلت ..  
والشمس قد غيرت رقم صندوقها البريدي  
والنجوم التي كنا نستأجرها في موسم الصيف  
أصبحت برسم التسليم ..  
كان واضحاً .. أن الأشجار غيرت عناوينها ..  
والعصافير أخذت أولادها ..  
ومجموعة الأسطوانات الكلاسيكية التي تحتفظ بها  
وهاجرت ..  
والبحر رمى نفسه في البحر .. ومات ..

-٢-

تجولت في أزقة صوتك الممطرة  
بحثاً عن مظلة تقيني من الماء ..  
كان في يدي خريطة المدينة التي أحببتك فيها ..

وأسماء الأندية الليلية التي راقصتك فيها ..  
ولكن شرطي السير ، سخر من بلاهتي  
وأخبرني .. أن المدينة التي أبحث عنها ..  
قد ابتلعها البحر ..  
في القرن العاشر قبل الميلاد ...

-٣-

ذهبت إلى المحطات التي كنت أستقبلك فيها ..  
وإلى المحطات التي كنت أودعك فيها ..  
سألت عنك في عربة الدرجة الأولى ..  
المخصصة للنوم ..  
فوجت على باب مقصورتك ..  
عشرات من سلال الأزهار ..  
ولافتة مطبوعة بكل اللغات :  
" الرجاء عدم الإزعاج " ..  
وفهمت أنك مسافرة .. بصحبة رجل آخر ..  
قدم لك البيت الشرعي  
والجنس الشرعي  
والموت الشرعي ..

-٤-

أيتها المرأة التي كانت في سالف الزمان حبيبتي  
لماذا تضعين الوقت في حقائبك ..  
وتسافرين ..؟  
لماذا تأخذين معك أسماء أيام الأسبوع ؟  
وخلاطة الشهور والأعوام ..  
وكروية الأرض ..

إنني لا أستوعب خروجك من دورتي الدموية  
كما لا تستوعب السمكة خروجها من الماء ..  
أنت مسافرة في دمي ..  
وليس من السهل أن أستبدل دمي بدم آخر ..  
ففصيلة دمي نادرة ..  
كالطيور النادرة ..  
والنباتات النادرة ..  
والمخطوطات النادرة ..  
وأنت المرأة الوحيدة ..  
التي يمكن أن تتبرع لي بدمها ..  
ولكنك دخلت علي كسائحة ..  
وخرجت من عندي كسائحة ..  
كانت كلماتك الباردة ..  
تتطاير كفتافيت الورق ..  
وكانت عواطفك ..  
كاللؤلؤ الصناعي المستورد من اليابان ..  
وكانت بيروت التي اكتشفتها معك ..  
وأدمنتها معك ..  
وعشتها معك ..  
وعشتها بالطول والعرض .. معك ..  
ترمي نفسها من الطابق العاشر ..  
وتتكسر .. ألف قطعة ..

-٥-

توقفي عن النمو في داخلي ..  
أيتها المرأة ..

التي تتناسل تحت جلدي كغابة ..  
ساعديني ..  
على كسر العادات الصغيرة التي كونتها معك ..  
وعلى اقتلاع رائحتك ..  
من قماش الستائر ..  
ورفوف الكتب ..  
وبللور المزهريات ..  
ساعديني ..  
على استعادة لغتي ..  
التي فصلت مفرداتها عليك ..  
ولم تعد صالحة لسواك من النساء ..

-٦-

دلييني ..  
على كتاب واحد لك يكتبوك فيه ..  
وعلى عصفور واحد ..  
لم تعلمه أنه تهجئة اسمك ..  
وعلى شجرة واحدة ..  
لا تعتبرك من بين أوراقها ..  
وعلى جدول واحد ..  
لم يلحس السكر عن أصابع قدميك ..

-٧-

ماذا فعلت بنفسك ؟ ..  
أيتها الملكة ..  
التي كانت تتحكم بحركة الريح ..  
وسقوط المطر ..

وطول سنابل القمح ..  
وعدد أزهار المارغريت ..  
أيتها الملكة ..  
التي كانت نهذاها يصفان الطقس ..  
ويسيطران ..  
على حركة المد والجزر ..  
وإليهما .. كانت نتيجة المراكب ..  
لتنزود بالعاج .. والنبيذ ..  
وفاكهة الأناناس !!  
ماذا فعلت بنفسك ..  
أيتها السيدة التي وقع منها صوتها على الأرض ..  
فأصبح شجرة ..  
ووقع ظلها على جسدي ..  
فأصبح نافورة ماء ..  
لماذا هاجرت من صدري ؟  
وصرت بلا وطن ..  
لماذا خرجت من زمن الشعر ؟  
واخترت الزمن الضيق ..  
لماذا كسرت زجاجة الحبر الأخضر ..  
التي كنت أرسمك بها ..  
وصرت امرأة ..  
بالأبيض ..  
والأسود ..

## الحب في الإقامة الجبرية

- ١ -

أستأذنتك بالانصراف ..  
فأقدم الذي كنت أحسب أنه لا يصبح ماء ..  
أصبح ماء ..  
والسماء التي كنت أعتقد أن زجاجها الأزرق  
غير قابل للكسر .. انكسرت ..  
والشمس ..  
التي كنت أعلقها كالحلق الإسباني  
في أذنيك ..  
وقعت مني على الأرض .. وتهشمت ..  
والكلمات ..  
التي كنت أغطي بك بها عندما تنامين ..  
هربت كالعصافير الخائفة ..  
وتركتك عارية ..

- ٢ -

أستأذنتك بالخروج .. من هذا المطلب الهوائي  
بين نهديك ..  
فلم تعد عندي شهوة لمناقشتك ..  
أو لمضاجعتك ..  
لم أعد متحمساً للهجوم على أي شيء ..  
أو الدفاع عن أي شيء ..  
فقد سقطنا في الزمن الدائري ..  
حيث المسافة بين يدي وخاصرتك ..

لا تتغير ..  
وبين أنفي ومسامات جلدك ..  
لا تتغير ..  
وبين زنزانه فخذيك ..  
وساحة إعدامي ..  
لا تتغير ..

-٣-

أستاذك ..  
بأخذ إجازة طويلة .. طويلة ..  
فلقد تعبت ..  
من حالة اللاشوق .. واللاحب .. التي أنا فيها ..  
وتعبت من هذه الشقة المفروشة ..  
التي صارت عواطفي مربعة كجدرانها ..  
وشهوتي مستطيلة كدهاليزها ..  
وطموحي واطناً كسقفها ..

-٥-

أريد أن أظاهر ضد حبك الفاشيستيّ  
وأطلق الرصاص ..  
على قصرك ..  
وحرسك ..  
وعربتك البرجوازية الخيول ..  
أريد .. أن أحتج على سلطتك السرمدية ..  
وعلى الدستور  
الذي سميت به نفسك ..  
مليكة .. طول الحياة ..

أريد أن أطلق الرصاص ..  
على صورتك الزيتيه ..  
المعلقة في صالة العرش ..  
وعلى كل الشعراء ،  
والنبلاء ،  
والسفراء ..  
الذين يدفعون لعينيك الجزيه ..  
ويسقون نهديك ..  
حليب العصافير ..

-٦-

أريد أن أطلق الرصاص ..  
على ملابسك المسرحية ..  
وعلى عدة الشغل التي تستعملها في التشخيص ..  
على الأخضر .. والليلكي ..  
على الأزرق .. والبرتقالي ..  
على عشرات القوارير التي جمعت فيها فصائل دمي ..  
على غابة الخواتم والأساور ..  
التي استعملتها لابتزازي ..  
على الأحزمة الجلدية العريضة ..  
المصنوعة من جلد التمساح ..  
والتي استعملها في جلدي ..  
على دبابيس الشعر ..  
ومبارد الأظافر ..  
والسلاسل المعدنية ..  
التي لجأت إليها ..



لأخذ اعترافاتي ..

-٧-

أريد أن أطلق الرصاص ..  
على صوتك المتسلل عبر أسلاك الهاتف  
فلم أعد مهتماً بهواية جمع العصافير ..  
أريد أ، أطلق الرصاص ..  
على حروف اسمك ..  
فلم أعد مهتماً ..  
بهواية جمع الأحجار النادرة ..  
أريد أن أطلق الرصاص ..  
على كل قصائدي .. التي كتبتها لك ..  
وعلى كل الإهداءات الهيستيرية ..  
التي صدرت عني ..  
في ساعات الحب الشديد ..  
أو ...  
في ساعات الغباء الشديد ..

-٨-

أريد أن أذهب إلى البحر ..  
حيث الشواطئ مفتوحة ككتاب أزرق  
ففمي .. أصبح كغابة الفطر ..  
من قلة الشمس ..  
وعواظي أصبحت كالمخطوطات القديمة ..  
من قلة الزائرين ..  
وقلة القراءة ..

-٩-

أريد ..  
أن أكسر دائرة الطباشير ..  
وأنتهي هذه الرحلة اليومية ..  
بين شفتك العليا .. وشفتك السفلى  
بين نهدل الأيمن . ونهدك الأيسر ..  
بين جسدك البارد كمدن النحاس  
وبين جنوني ..

- ١٠ -

أريد أن أحتج على شيء ما ...  
أن أصطدم بشيء ما ..  
أن أنتحر من أجل شيء ما ..  
فلم يعد عندي ما أفعله ..  
سوى أن ألعب الورق مع ضجري  
هو يخسر .. وأنا أخسر ..  
هو يضجر .. وأنا أضجر  
هو يخبرني أنك كنت حبيبتة ..  
وأنا أخبره أنك كنت حبيبتني  
هو يعطيني مسدسه لأنتحر ..  
وأنا أطلعه على مكاتيبك القديمة ..  
فيقتل نفسه ..  
ويقتلني ..

- ١١ -

أستأذن في أن أقتلك ..  
إنني أعرف أن كل غمام السماء ..  
ستدرف دموعها عليك

وكل الحمائم ستفرش ريشها الأبيض .. تحت رأسك  
وكل شقائق النعمان ..  
ستطلع من حقول جسدك ..  
ولكن برغم هذا ..  
سأبقى مصمماً على قتلك ..  
لا من أجلي وحدي ..  
ولكن من أجل كل الأسرى .. والجرحى .. ومشوهي الحب ..  
ومن أجل كل الذين حكمتهم بالأشغال الشاقة ..  
وفرضت عليهم ..  
أن ينقلوا الرمل بملاعق الشاي ..  
من نهدك الأيمن .. إلى نهدك الأيسر ..  
من نهدك الأيسر .. إلى نهدك الأيمن ..  
.....  
.....  
ولا يزالون يشتغلون ..  
ولا يزالون يشتغلون ..  
و ... لا ... ي ... ز ... ا ... ل ... و ... ن  
ي ... ش ... ت ... غ ... ل ... و ... ن ...

## أم المعتز

- ١ -

عندما كانت بيروت تموتُ بينَ ذِراعِيَّ  
كسَمَكَةٍ اخْتَرَقَهَا رَمَحٌ  
جَاءَنِي هَاتِفٌ مِنْ دِمَشَقٍ يَقُولُ:  
"أُمَّكَ مَاتَتْ."

لم أستوعبِ الكلماتِ في البداية  
لم أستوعبُ كيفَ يمكنُ أن يموتَ السمكُ كُلُّهُ في وقتٍ  
واحدٍ..

كانتُ هناكَ مدينةً حبيبةً تموتُ .. اسمُها بيروتُ  
وكانتُ هناكَ أمٌّ مُدهِشَةٌ تموتُ .. اسمُها فائزةٌ..  
وكانَ قَدْرِي أن أُخْرَجَ من موتٍ..  
لأدخُلَ في موتٍ آخَرَ..  
كانَ قَدْرِي أن أسافرَ بينَ موتَينِ...

- ٢ -

كلُّ مَدِينَةٍ عَرَبِيَّةٍ هِيَ أُمِّي..  
دمشقُ ، بيروتُ ، القاهرةُ ، بغدادُ ، الخرطومُ ،  
الدار البيضاءُ ، بنغازيُ ، تونسُ ، عمانُ ، الرياضُ ،  
الكويتُ ، الجزائرُ ، أبو ظبي وأخواتِها..  
هذه هي شَجَرَةُ عَائِلَتِي..  
كلُّ هذه المدائنُ أنزلتني من رَحْمِهَا  
وأرضعتني من ثَدْيِهَا..  
وملأتْ جِوْبِي عِنْباً ، وتيناً ، وبرقوقاً..

كلها هزّت لي نخلها .. فأكلت ..  
وفتحت سماواتها لي .. كراسه زرقاء ..  
فكّنت ..  
لذلك ، لا أدخل مدينة عربيّة .. إلا وتناديني:  
"يا ولدي... "  
لا أطرق باب مدينة عربيّة ..  
إلا وأجد سرير طفولتي بانتظاري ..  
لا تنزف مدينة عربيّة إلا وأنزف معها ..  
فهل كانت مصادفة أن تموت بيروت ..  
وتموت أمي في وقت واحد ؟

- ٣ -

يعرفونها في دمشق باسم (أمّ المعتزّ . )  
وبالرغم من أنّ اسمها غيرُ مذكور في الدليل السياحيّ  
فهِيَ جزءٌ من الفولكلور الشاميّ .  
وأهميّتها التاريخيّة لا تقلُّ عن أهميّة (قصر العظم)  
(قبر صلاح الدين) و(مئذنة العروس)  
ومزار (محي الدين بن عربي)  
وعندما تصلُ إلى دمشق ..  
فلا ضرورة أن تسألَ شرطيّ السير عن بيتها ..  
لأنّ كلّ الياسمينَ الدمشقيّ يُهرهُرُ فوق شُرقتها ،  
وكلُّ الفلّ البلديّ يتربّي في الدلال بين يديها ..  
وكلُّ القطط ذات الأصل التركيّ ..  
تأكلُ .. وتشربُ .. وتدعو ضيوفها .. وتعقدُ اجتماعاتها .  
في بيت أمي .

#### -٤-

نسيتُ أن أقولَ لكم ، إنَّ بيتَ أمِّي كانَ معقلاً للحركةِ  
الوطنيةِ في الشَّامَ عامَ ١٩٣٥ . وفي باحةِ دارنا الفسيحةِ  
كانَ يلتقي قادةُ الحركةِ الوطنيةِ السوريةِ بالجماهيرِ .  
ومنها كانتَ تنطلقُ المسيراتُ والتظاهراتُ ضدَّ الانتدابِ  
الفرنسيِّ ..

وبعدَ كلِّ اجتماعٍ شعبيِّ ، كانتَ أمِّي تُحصي عددَ  
ضحاياها من أصصِ الزَّرْع التي تحطَّمتْ .. والشتولِ  
النادرةِ التي انقصفتْ .. وأعوادِ الزنبقِ التي انكسرتْ ..  
وعندما كانتَ تذهبُ إلى أبي شاكيةً لهُ خسارتها الفادحةِ ،  
كانَ يقولُ لها ، رحمهُ الله ، وهوَ يبتسمُ :  
( سجّلي أزهارك في قائمةِ شهداءِ الوطنِ ... و عوضك  
على الله ) ..

وتخجلُ أمِّي من سخريةِ أبي المبطنةِ ، ولكنها في نفسِ  
الوقتِ ، تشعرُ بهزّةِ عنفوانٍ ، لأنَّ بيتها صارَ بيتَ  
الوطنيةِ .. ولأنَّ أزهارها ماتتْ من أجلِ الحريةِ ...

#### -٥-

أمِّي لا تتعاطى العلاقاتِ العامّةِ ، وليسَ لها صورةٌ واحدةٌ  
في أرشيفِ الصحافةِ .

لا تذهبُ إلى الكوكتيلات وهي تلتفُّ ابتسامتها بورقةِ  
سولوفانٍ ..

لا تقطعُ كعكةَ عيدِ ميلادها تحتَ أضواءِ الكاميراتِ ...  
لا تشتري ملبسها من لندن وباريس ، وترسلُ تعميماً  
بذلكَ إلى من يهمةُ الأمرِ ...

لا توزَّعُ صورها كطوابع البريدِ على محرّراتِ  
الصفحاتِ الاجتماعيةِ  
ولم يسبقُ لها أن استقبلتْ مندوبةً أيّ مجلةٍ نسائيةٍ،  
وحدّثتها عن حبّها الأوّل .. وموعدها الأوّل .. ورجلها  
الأوّل..

فأمّي (دّقةٌ قديمة) .. ولا تفهمُ كيفَ يكونُ للمرأةِ حبٌّ  
أوّلٌ .. وثانٍ .. وثالثٌ .. وخامسٌ عَشْرٌ..  
أمّي تؤمنُ بربِّ واحدٍ .. وحبيبٍ واحدٍ .. وحبٍ واحدٍ..

-٦-

قهوةٌ أمّي مشهورةٌ..  
فهيَ تطحنُها بمطحنتها النّحاسيّةِ فنجاناً .. فنجاناً..  
وتغليها على نارِ الفحمِ .. ونارِ الصبرِ...  
وتعطرُها بحبِّ الهالِ..  
وترشُّ على وجهه كلَّ فنجانِ قطرتينِ من ماءِ الزّهرِ..  
لذلكَ تتحوّلُ شرفةُ منزلنا في الصّيفِ..  
إلى محطةٍ تستريحُ فيها العصافيرُ..  
وتشربُ قهوتها الصباحيةَ عندنا..  
قبلَ أن تذهبَ إلى الشّغلِ..

-٧-

وزارةُ زراعةٍ كانتَ هذهِ المرأةُ..  
ومن كثرةِ الأزهارِ ، والألوانِ ، والروائحِ التي أحاطت  
بطفولتي كنتُ أتصوّرُ أنّ أمّي .. هي موظّفةٌ في قسمِ  
العطورِ بالجنّةِ..

-٨-

بموتِ أمِّي..  
يسقطُ آخرُ قميصِ صوفٍ أغطي بهِ جسدي  
آخرُ قميصِ حنانٍ..  
آخرُ مظلةٍ مطرٍ..  
وفي الشتاءِ القادمِ..  
ستجدونني أتجولُ في الشوارعِ عارياً..

- ٩ -

كلُّ النساءِ اللواتي عرفنهنَّ  
أحببنتني وهُنَّ صاحباتٍ..  
وحدها أمِّي..  
أحببنتني وهي سكرى..  
فالحبُّ الحقيقيُّ هوَ أنْ تُسكرِ..  
ولا تعرف لماذا تُسكرِ..

- ١٠ -

أمِّي متفشيةٌ في لغتي..  
كلما نسيتُ ورقةً من أوراقِي في صحنِ الدارِ..  
رشتها أمِّي بالماءِ مع بقيةِ أحواضِ الزرعِ..  
فتحوّلتِ الألفُ إلى ( امرأة ) ..  
والباءُ إلى ( بنفسجة )  
والدالُ إلى ( دالية )  
والراءُ إلى ( رمانة )  
والسينُ إلى ( سوسنة ) أو ( سمكة ) أو ( سنونوة )  
ولهذا يقولونَ عن قصائدي إنها ( مكيفةُ الهواءِ )



ويشترونها من عند بائع الأزهار..  
لا من المكتبة...

- ١١ -

كُلّما سألوها عن شعري ، كانت تُجيبُ:  
"ملائكة الأرض والسّماء .. ترضى عليه ."  
طبعاً ... أمّي ليستْ ناقدةً شعريّ موضوعيّة.  
ولكنّها عاشقة . ولا موضوعيّة في العشق .  
فيا أمّي . يا حبيبتّي . يا فائزة..  
قولي للملائكة الذين كلفتهم بحراستي خمسينَ عاماً، أن  
لا يتركوني..  
لأني أخافُ أن أنامَ وحدي...